الشباب

بقلم : الدكتور محمود بابللى

رحم الله امير الشعراء أحمد شوقى لقوله :

شباب قنع لاخير فيهم
وبورك فى الشباب الطامحينا

١ ـ عنصر الشباب :

عنصر الشباب هو عنصر الحياة المتدفقة ، عنصر الفعالية الوثابة ، عنصر الامل الباسم والغد المشرق ، العنصر الذى تبنى عليه الامة مستقبلها ، العنصر الذى يسجل فى التاريخ أنقى وأنصع صفحاته ، هذا العنصر هو الذى نهيب به أن يعيد لهذه الامة ماضيها الزاهر ، وأن يحقق فى حاضره مانعتز به فى مستقبلنا القريب ، ومايعتز به احفادنا فى أجيالهم المتلاحقة ٠

ان هذا العنصر هو مقعد الرجاء ومحط الامال وموضع الامتحان والابتلاء ، انه هو عنصر التضحية والفداء ، عنصر الاقدام والعمل ، عنصر التجديد والبناء ٠

وهذه الكلمات ليست كلمات حماسية عاطفية ، وانما هى حقائق نلتمسها فى شبابنا وننتظر منه ان يحققها فى أمته بتحقيقها فى نفسه٠

فما هى حقيقة الشباب وماهو واجب الشباب ؟

٢ ـ حقيقة الشباب :

ان الشباب هو فى مراحل العمر أنضرها وابهاها وأقواها عزيمة ، وهو فى جسم الامة اكسير الحياة المتدفق الذى ترجو منه التجديد فى كيانها والاعداد لمستقبلها ٠ وليس هنالك أقدر من الشباب على تحمل التبعات والمسؤوليات ، وليس هنالك أقدر من الشباب على صنع العجائب ٠

وقد قال عنه أبو العتاهية فى أرجوزته ذات الامثال :

«روائح الجنة فى الشباب»

فالشباب هو الشعلة التى تحمل الضياء للامة ، وهو السواعد المفتولة والزنود العامرة ،والصدور الواسعة والقامات المرتفعة الفارهة ، هو عنصر الجمال وعنصر القوة وعنصر الارادة والتصميم ، وهو خلاصة الدم النقى الفوار .

وقد قيل فى الامثال العربية تذكرة لما هو عليه حال الشباب وتبصرة لما سيؤول اليه :

«أواه لو عرف الشباب ، وآه لو قدر المشيب»

ولابد يوما أن يزول هذا الشباب وأن يندم صاحبه على مافرط فى ايامه ، وعندئذ يتمثل قول ابى العتاهية :

بكيت على الشباب بدمع عينى
فلم يغن البكاء ولا النحيب

فيا أسفا أسفت على شباب
نعاه الشيب والرأس الخضيب

عريت من الشباب وكان غضا
كما يعرى من الورق القضيب

فياليت الشباب يعود يوما
لاخبره بما فعل المشيب

هذه هى حقيقة الشباب ، فما هو واجبه ؟

٣ ـ واجب الشباب :

ان من اولى واجبات الشباب أن يحافظوا على هذا الشباب ، وان يستفيدوا من هذا الشباب لقولهصلى الله عليه وسلم :

«اغتنم خمسا قبل خمس : شبابك قبل هرمك ..» (١)

وان يعرفوا ماهى قيمة الشبابوما هو أثره فى كيان الامة . وليس للشباب ان يلهو فى وقتالجد ،وليس له أن يتقاعس عن العظائم فى كل الامور ، وليس لهأن يتواكل اويتردد او يسوف ،وانما هى العزيمةوالاقدام والعمل ، لانها من طبيعة الشباب .

ان للشباب مثلا اعلى تتوق الى تحقيقه نفوسهم فيجب أن لاتقصر هممهم عن السعى اليه . ونفوس الشباب تواقة الى المجد ، والى احراز البطولات وتحقيق العظائم العلمية فى شتى الميادين الاجتماعية والثقافية والعسكرية والفنية والاقتصادية .

ان المثل الاعلى للشباب أن يكونوا رواد هذه الامة فى شتى العلوم والمعارف ، وأن لايرتضوا لانفسهم ولامتهم دون الثريا مقعدا ، وهذالا يتحقق لهم الا اذا تخلقوا بالاخلاق

(١) من حديث رواه الترمذى مرسلا .

الحميدة والعزيمة الصادقة والارادة الفولاذية والصبر الطويل والعمل الدائب .

وان الامور الحسنة لاتخفى على ذى عين بصيرة ، لذلك فان من واجب الشباب أن لايقبلوا من أنفسهم او من غيرهم أو من محيطهم الا ماهو صالح ونافع وجميل .

ان التعاون على تأييد الحق ونصرته والاخذ على يد الظالم هو من طبيعة الشباب ، لان الشباب لم تتركز فيه الرذائل والمفاسد، فهو لايزال فى طهره ونقائه، وكل مالايتفق وفطرته السليمة أمر منكر ومكروه .

ان واجب الشباب ان تتفتح بصيرته على الهدى والاخلاق الحسنة ،وان يبتعد عن سفاسف الامور ، وان يتخذ لنفسه مثلا أعلى يعمل جاهدا على تحقيقه .

والمثل الاعلى له مجالات واسعة ، ففى كل حقل لابد ان يكون فيه من يستحق ان يكون مثلا اعلى .

وخير الامثلة العليا للشباب المسلم الصحابة الكرام الذين قال عنهم الرسول صلى الله عليه وسلم :

«أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»

وسير الصحابة نماذج عالية من علو الهمة ومن البذل ومن التضحية ،ومن محاسبة النفس ومن التمثل بالمحامد والتحلى بمحاسن الاخلاق ، ومن الاستهانة بزخرف الحياة الدنيا ،ومن الحرص على كل مايرضى الله سبحانه ماان تمسك به الشباب لاستقام توجيههم ، ولتطبعت نفوسهم على هذه الصفات والمزايا ، ولحسن مردودهم، وصلحت عاقبتهم .

وبعد ذلك يحق لهذا الشاب أن ينطلق فى ميادين الحياة جميعها متسلحا بهذه الاخلاق الحسنة والصفات الممتازة ، وأن يكون مثلا فيها لمن يعاشره او يعمل معه او يتصل به .

ذلك لاننا مفتقرون الى هذه العناصر المثالية ، ولايستطيع تأمينها الا الشباب فيما اذا وعوا هذه الحقيقة .

والشىء الذى يساعد الشباب على تأدية رسالته فى كل ميدان يقتحمه هو محاسبته لنفسه وتحققه من صحة المنطلق الذى باشر السير فيه .

وهذه المحاسبة لها أهميتها ، لان الشاب لايعدم من نفسه او من اصدقائه او من معارفه او من محيطه من يجعله موضع موازنته وقياسه، وسبل النجاح مفتحة لكل من يريد سلوكها ، ولكنها تحتاج الى همم عالية والى ارادة وعزم والى تصميم ومباشرة ،والى صبر ودأب .

ومتى خطط الشاب لنفسه منطلقه فى هذه الحياة عليه ان ينظر الى اعظم شخصية سبقته فى هذا المنطلق،وان يتخذ منها مثالا على امكانية بلوغ هذه

المنزلة والتفوق عليها ،وأن يتعاون مع من يساعده على سلوك هذا المنطلق وبتجنب من لايفيـــــده فى ذلك،وأن يحرص كل الحرص على أن لايفوتعلى نفسه الفرصة، لان ماضاع منهلايعود، وانما قد يتداركه بعض الشيء ،والمثل العربى يقول : «ماضاع من مالك ــ او من وقتك ــ ماعلمك»

وليستفد الشباب من تجارب من سبقهم فى هذا المنطلـق ، وليتعرفوا ماارتكبه البعض منــــهم من اخطاء ، وليعملوا على تجنبها ، لان تجارب من سبقنا فى مضمار الحياة هى دروس نافعة لنا ، ان استفدنا منها تجنبنا كثيرا من الزلل ، ووفرنا على انفسنا كثيرا من الجهد ، ولم نضع منالوقت مانحن بحاجة الى الاستفادة منه

والشباب المتعلم المثقف هو اقدر من غيره على تحمل المسؤولية وتقدير التبعات ، وهو أولى من غيره بانيقدر هذه المعانى ويوليها حقها ، لان لهمن ثقافته مايدفع به الى سلوك سبل المجد فى كل منطلق ، وهو موضع امل الامة ومحط انظارها • فاذا ماجعل التفوق هدفه ، وصل فى النتيجة الى تحقيق هذا الهدف ، وكان اسوة لغيره فيه، لان طبيعة النفوس تواقة الى تقليد غيرها (ولو بالمظاهر) ، وغالبا مايكون التقليد فى المظاهر •

والذى يؤكد لنا هــــذه الظاهرة تسابق الناس الى تقليد بعضهم بعضا فى كثير منالمظاهر الاجتماعيةانسياقا وراء عدوى التقليد ، دون ان يحكموا فى ذلك دينهم او ان يأخذوا الامر عن بصيرة ويتقن من جدواه •

فللمظاهر تأثيـــــرها الفعال على النفوس ، ولها عدواها الخاصة بها، حتى انها لتسـرى فى المجتمع سريان النار فى الهشيـــــم (تلتهم الاخضر واليابس) الا من رحم ربك ،فيختلط الامر على الرجل الحكيم ، حتى يظن ان مجاراة الناس فى هذه المظاهر خير من مخالفتهم •

ولهذا تكون المظــــاهر فى الامور المحمودة اجدى على الامة من غيرها ، لان الاغلبية ستنــــدفع فى تقليدها ، ولايتحقق ذلك الا اذا كان قادة الامة فى طليعة المتمسكين بهــــذه المظاهر المحمودة ، لان غالبية الناس تبعلهم•

ولنأخذ مثـــلا على هذه المظاهر المحمودة حرص الناس على التعــــلم وشدة اقبالهم عليه فى الاونة الاخيرة، فلو لم يكن منشأ هذه الظاهرة منعلية القوم لما رأينا هذا الاقبال الشديدعليه من عامة الناس •

والتزود من العلم شيء محمود لذاته ولاحدود له اطلاقا ، فهو اوسع منطلق واعوده بالنفع • ورب العالمين يوجه رسوله الكريم لان يتزود من العلم بقوله جل شأنه : «وقل ربزدنىعلما»

والعلم لايقتصر على تعـلم القراءة والكتابة ، لان تعلم القراءة والكتابة هو مفتاح العـــــلم ووسيلته ، ومن

يتوقف عند هذه الحدود احرى به ان يعد من الاميين •

وميدان العلم فسيح وفسيح جدا، ولايستطيع ان يلم به فرد او مجموعة او امة أو جيل ، ولابد له من جهود جبارة ومن تعاون شامل، ومن دأب واستمرار ، لان ماتوصلت اليه المدنية الحاضرة من علوم وفنون هو حصيلة الازمان السابقة وجهود العلماء المتلاحقة منذ تفتح الانسان على العلم حتى الان •

وكل شيء يحتاج اليه الانسان فى حياته نجد للعلم اثرا فيه ، وكلما ازدادت ثقافة الامة ازدادت احوالها تحسنا •

والعلم لايأتى الا بالتعلم ، والتعلم لايأتى طفرة ، وانما لابد له من سنين طويلة ، ومن جهد ومن دأب واستمرار لان طالب العلم نهم لايشبع منه ابدا، فهو لذلك ، عندما يذوق لذته، يندفع اليه دون تردد ، ويستمر فيه دون انقطاع • وأقدر من يعى هذه الحقائق هم شباب الجامعات وطلاب المعاهد العليا على اختلاف انواعها •

وانني اخص بهذه الكلمة هؤلاء الشباب الذين هم رواد هذه الامة وطليعة نهضتها ، وموضع ثقتها ومقصد رجائها فى تحقيق كل ماتهدف اليه فى مستقبلها القريب والبعيد •

والعلوم النظرية لاتغنى عن التزود من العلوم العملية ، ولكل منهما ضرورته ، وقد يفرض واقع الامة على الشباب أن يتداركوا ماتحتاج الد الامة من احد هذين النوعين اكثر من النوع الاخر •

وعلى هذا يكون التخطيط فى مثل هذه الشؤون امرا ضروريا مفروضا على ولاة امر الامة •

ولابد من تضافر الجهود فى هذه السبيل ، لان دفع الاباء لابنائهم فى منطلق واحد امر لاتحمد نتيجته،ولابد من تنويع المنطلقات وتوفير الاسباب لبيان ضرورتها وفائدتها •

واقتحام منطلقات جديدة قد يحقق فرصا ومنافع لكثير من الشباب جميعهم او اغلبهم فى منطلق واحد او ماكانت لتتحقق لو انهم اندفعوا فى منطلقات مسبوقة •

وللامة امجاد ومفاخر ، ولايحافظ عليها الا تلاحق الامجاد والمفاخر ،فاذا انطفأت الشعلة فى الشباب بانصرافهم عن هذا الواجب العظيم ، عاشت الامة ذليلة فى حاضرها ، ودب اليأس الى باقى عناصر الامة ، وتغلب الشك على صدق نسبة هذه الامجاد الى اصول هؤلاء الشباب • وطمع الغير فى السيطرة والتغلب على هذه الامة ، ويكون السبب فى هذا كله تقريبا تفريط الشباب فى واجبهم ، وكم لهذا التفريط من نتائج سيئة وعواقب وخيمة •

لذلك أهيب بهؤلاء الشباب ،واخص بقولى المثقفين منهم ، ان لايفتحوا ثغرة فى صفوف هذه الامة ، وأن يكونوا

مفاتيح خير لها فى كل منطلق وميدان ومغاليق شر دونها لكل ضلالة وفساد وانحلال ·

وان يكونوا على يقين من حسن النتيجة فيما لو صدقوا انفسهم ولم يخدعوها بالامانى ، وبذلوا فى سبيل ذلك من الجهد والدأب والسهر مايهون امام الهدف الذى ينشدونه ، وهو احلال هذه الامة فى مكانها الذى اعده الله لها فى قوله جل وعلا : «كنتم خير أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله»

والله سبحانه يدعونا الى العمل ، ويحضنا عليه ، ويجعل بعضنا رقيبا على بعض ، ويجعل الرسول شهيدا علينا ، وهو شهيد على الجميع يوم تسأل كل نفس عما اسلفت : «وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ، وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون» ·

أبى الاسلام لا أب لى سواه

دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عبد الله بن أبى وقال : ألا ترى ما يقول أبوك

قال ما يقول بأبى أنت وأمى · قال : يقول لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الاذل فقال : فقد صدق والله يا رسول الله أنت والله الاعز وهو الاذل أما والله لقد قدمت المدينة يا رسول الله وان أهل يثرب ليعلمون ما بها أحد ابر بوالده منى ولئن كان يرضى الله ورسوله أن آيتهما برأسه لآتينهما به · فقال رسول الله : لا · فلما قدموا المدينة قام عبد الله على بابها بالسيف لأبيه وقال : أنت القائل لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ؟ أما والله لتعرفن العزة لله أو لرسول الله ؟ والله لا يأويك ظلها الا باذن من الله ورسوله · فقال بن أبى : يا للخزرج ابنى يمنعنى بيتى · يا للخزرج ابنى يمنعنى بيتى !! فاجتمع اليه رجال فكلموه · فقال : والله لا يدخلن الا باذن من الله ورسوله : فأتوا النبى فأخبروه فقال : اذهبوا اليه فقولوا له خله ومسكنه فأتوه فقال : أما اذ جاء أمر النبى فنعم ·

بن جرير بسنده عن بن زياد